مجلة
Halna
هلنا
تأسست يونيو ٢٠٢٣
إجتماعية - ثقافية - تراثية
العدد ٢٤ - يونيو ٢٠٢٥
إدارة وتحرير: م. عصمت ضيف الله الملهطاني
المستشار الإعلامي : شيخ الصحفيين عيد وحيده
مجلة شهرية - مصر وليبيا ودول المغرب العربي

الحمّام

عروس مدائن الصحراء الغربية

وادي ماجد

قواتنا البحرية



اقرأ في هذا العدد


أ. عيد وحيده ★★★
قواتنا البحرية

٤


أ. عبد الله أبو زوير
وادي ماجد-١

٩


م.محمود الفحام ★★
قصيدة شعرية

١٦


أ. عبد الله لعشيبي
الحمّام عروس الصحراء

١٩


أ. ناجي بو المسمارية ★
صورة وقصة

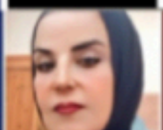
٣١


أ. حسني جرامون ★★
الصدق والأمانة

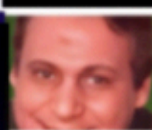
٣٥


د.م. إبراهيم شعبان
عفاريت الشيخ حسن

٣٨


أ. صابرين الصباغ ★
الغزال العاشق-٧

٤٦


م. عصمت ضيف الله
الواحات المفقودة

٥٣



نهنىء شيخ الصحفيين
أ. عيد وحيده
لحصوله على النجمة الثالثة
كأكثر من ساهم في تطوير
مجلة هلنا ودوامها



مناسبات هلنا

أبو زوير في ندوة مكتبة الإسكندرية





في الندوة التى نظمتها مكتبة الإسكندرية عن السرد بمطروح ووجهت المكتبة الدعوة لأدباء مطروح
الأديب الكبير عبدالله أبوزوير (كاتب مجلة هلنا) ، أ. عبدالستار حتيته ،أ. أيمن شكرى ، أ. منى ناصف.
شارك عبدالله أبوزوير بتقديم شهادته وكيف ساهمت نشأته فى الصحراء ومعاناة وقسوة حياتها فى إبداعات كتابها وكيف استطاع البدوى فى التغلب على الصعاب فى تلك الحياة وتذليل العقبات والمحن إلى أن استطاع بعد ذلك بتقديم الإبداع والتميز ومنافسة نظرائه من أهل المدن ثم تحدث عن الرواية التاريخية التى نقلت جهاد أهل مطروح فى صورة رواية تستند على حقائق تاريخية موثقة مما ساعد ذلك فى قراءة تاريخ نضال البدو ضد المحتل بأسلوب روائي جميل بعيدا عن مواد التاريخ التى تذكر الحدث دون التطرق للحياة التى نشأ فيها هذا البطل ومعاناته فى طفولته وكيف من رحم المعاناة والقسوة خلق بطل لا يقبل الضيم ولا تدنيس أرض الوطن

مجلة
هلنا

سكندريات

قواتنا البحرية

شيخ الصحفيين
عيد وحيده

شيخ الصحفيين . عيد وحيده



"مِصر يمه يا سَفينه،
مهما كانَ البَحر عاتي.
مَلاحينك مَلاحينك،
يزعقوا للريح يواتي.
اللي عَ الدُفّه صَناعه،
وَاللي عَ المِجداف زَناتي.
وَاللي فَوق الصاري كاتِب،
كُل ماضي وكُل آتي.
عُقدتين والتالته تابَه،
تركبي المَوجَه العَفيه.
توصلي بَرّ السَلامه،
مَعْجَبانيه وصَبيه،
يا بَهيه."

هذه الكلمات من قصيدة أحمد فؤاد نجم الشهيرة، كنتُ أتغنى بها وأنا أستمع إلى كلمة الفريق أحمد خالد حسن، المحافظ الحالي وقائد القوات البحرية المصرية، خلال احتفال تدشين الغواصة الرابعة (8-14) من طراز 209/1400 ألمانية الصنع، التي ستنضم قريبًا إلى ترسانة القوات البحرية، ضمن غواصات ألمانية انضمت 3 منها للخدمة بالفعل طبقًا لبرنامج زمني محدد.

"قال: "مصر لديها من الكوادر القادرة على استيعاب التكنولوجيا الحديثة في التشغيل والصيانة، والعمل بكفاءة تامة على الأنظمة الحديثة. فقد تم إعداد وتأهيل الأطقم التخصصية والفنية العاملة على هذه الغواصات في توقيتات قياسية، وفقًا لبرنامج متزامن بكل من مصر وألمانيا للإلمام بأحدث ما وصل إليه العالم من تكنولوجيا الغواصات. كانت لمصر السبق في دخول سلاح الغواصات كأول دولة في الشرق الأوسط وأفريقيا". كما أكد قائد قواتنا البحرية.

لحظة التدشين هي لحظة الشعور بالفخر والاعتزاز والفرحة أيضًا بتطوير وتحديث قواتنا البحرية، عمالقة البحار، مع بداية الاحتفالات بانتصارات أكتوبر المجيدة وعيد القوات البحرية في 21 أكتوبر، وهو اليوم الذي شهد إغراق المدمرة الإسرائيلية "إيلات" عام 1967... فخر البحرية "الإسرائيلية" بعد أقل من شهرين من هزيمة يونيو! كل قطعة سلاح جديدة تُضاف إلى قواتنا المسلحة هي مصدر للأمن والأمان للشعب. وخلال سنوات ما بعد ثورة 30 يونيو، يعيش جيشنا الباسل خطة تطوير وتحديث مستمرة، أجابت على كل الأسئلة التي وُجهت – سواء بحسن نية أو سوء نية. فالعيش في أمن وسلام يتطلب قوة رادعة ومدمرة، والحفاظ على عملية البناء والتنمية والثروات والموارد في البر والبحر يحتاج إلى قوات

قادرة على حمايتها. فهل عرفنا الآن لماذا تتسلح مصر بأحدث الأسلحة البرية والجوية والبحرية؟ إنها منظومة متكاملة لبناء دولة، لا يعمل أي جزء منها بمعزل عن الآخر.

ترسيم الحدود البحرية والاقتصادية، وبالتالي البحث والاستكشاف عن الثروات الكامنة في أعماق المياه على بُعد أكثر من 200 كيلومتر، كان يستوجب بالضرورة قوة بحرية تحميها من الحاقدين والطامعين. فجاءت حاملتا الطائرات المروحية "الميسترال" (عبد الناصر والسادات)، ثم الفرقاطات البحرية، ثم الغواصات، ثم... ثم... لتعزيز قدرة أقدم قوات بحرية في التاريخ منذ عهد الفراعنة، والتي بدأت عصرها الحديث مع بداية عصر النهضة منذ أكثر من قرنين.

هذه القوات هي المسؤولة عن حماية أكثر من 2000 كم من الشريط الساحلي المصري بالبحرين الأبيض والأحمر، وتأمين الحدود البحرية والمجرى الملاحي لقناة السويس وجميع الموانئ المصرية البالغ عددها 21 ميناءً، بالإضافة إلى 98 هدفًا بحريًا، بخلاف الأهداف الساحلية على البحر.

مواصفات الغواصات الألمانية الحديثة معروفة للجميع، وتُعتبر من أفضل الغواصات الهجومية في العالم. وانضمامها إلى الأسطول المصري يُشكل نقلة نوعية غير مسبوقة للقوات البحرية المصرية، ترفع تصنيفها بين أقوى الأساطيل البحرية في العالم.



مراكز الدراسات المتخصصة والمجلات والدوريات العسكرية العالمية تُصنف قواتنا البحرية في المرتبة الأولى بين قوات البحر المتوسط (فرنسا، إيطاليا، اليونان، تركيا، المغرب، الجزائر)، بحوالي 320 قطعة بحرية متنوعة.
وبعد انضمام الغواصات الألمانية، يرتفع تصنيف مصر بحريًا إلى المرتبة السادسة عالميًا! الله أكبر! بل إن التوقعات خلال العام 2025 تشير إلى أن البحرية المصرية ستصبح قوة عالمية ضاربة مع تمكنها من الحصول على حاملات الطائرات المقاومة، وسفن الإمداد والتموين.
كل عام، ومِصر بهية قوية منتصرة على كل أعدائها!

شيخ الصحفيين . عيد وحيده

مجلة هلنا

رواية



أ. عبد الله أبو زوير

وادي ماجد

(١)

وادي ماجد - ١

أ. عبد الله أبو زوير

١

استرخى على سرير سجنه القذر، وحاول أن يغمض عينيه وينام. لكن ذهبت كل محاولاته أدراج الرياح، وبدأ القلقُ يسيطر على عقله.

كم بقى من ساعات في عمره؟!

كان حكماً قاسياً، لكنه قابله بوجه كقناع. وتذكر حياته منذ نعومة أظافره، والأحداث التي مرت، وإصابته التي أدت إلى أسره، وحكم الإعدام الذي صدر ضده صباح ذلك اليوم. تذكر يوم أن كانت كل ثروته ديداناً مع قليل من تراب اغترفه بكفّه من الأرض، وقبض عليه بيده، ووضعه بداخل القارورة لكي يُبقي على كل الديدان حيةً تنعم بالحركة والسعادة تحت التراب داخل قارورته.

هذا كل ما فعله منذ ضُحى ذلك اليوم إلى أن لامست الشمس رؤوس التلال غرباً.

كان كل رفاقه يحسدونه ويلعنون حظهم السيء أمام حظه. لم يغب عنه جلب حفنتين بكفّيه الصغيرين من رمال البحر البيضاء في (كوز) من صفيح كسا الصدأ كل محيطه.

بحث بهمة عالية في كل مكان يُشتبه بوجود كنز من الديدان التي تجيد الاختباء تحت الرمال، كما لو أنه أحد علماء الآثار الذين جاءوا ليبحثوا عن مقابر ملوك الفراعنة وطلاسمها المعقدة، والتي حيرت العالم إلى يومنا هذا. لم يعبأ بالتعب والعرق الذي كان يسيل من جبينه.

كانت أصوات دوي البارود المتقطع حوله فقط هي التي تجعله يرفع رأسه الصغيرة ليراقب السماء ناحية الصوت، ويعض على شفته بأسنانه القليلة البيضاء ولثته الخالية من الباقي. وحين كان يشاهد طيراً يتهاوى وقد قبض جناحيه مرغماً إلى الأرض إثر إصابته من أحد القناصة الذين لم يكن يراهم إلا عندما يخرج أحدهم ليلتقط صيده الذي خرَّ

وادي ماجد -١

أ. عبد الله أبو زوير

بعيداً عن اختبائه، كان يشاركهم الفرحة ويصفق لهم بكلتا يديه الصغيرتين دون أن يسمعه أحدٌ منهم أو حتى يراه. قال لنفسه:
"مازلت صغيراً، متى أمتلك بندقية كبندقية جدي الطويلة؟ كل عام يقولون لي: كبرت عاماً واحداً فقط عن العام الماضي. جدي قال لي إنه كان صغيراً مثلي، وأبي قال إنه سيشترى لي فرساً بدلاً من مُهرتي التي باعها حينها لأحد أبناء عمومته."
بكيتُ كثيراً يوم ساقها ذلك الرجل القبيح من مربطها. حدق تحت قدميه الرقيقتين لبرهة، هتف: "اللعنة!" ثم جثا على ركبتيه وقال: "الدودة نخرت الرمال واختبأت تحتها." أزاح الرمال بكفه، وأعادها برفقٍ مرةً أخرى إلى قارورته. لاحظ نظرات الإعجاب من رفاقه؛ ربما كان السبب أنهم لم يعرفوا شيئاً اسمه الحقد بعد .
عاد إلى النجع ووضع (كوز) الرمال خلف خيمته، لكنَّه احتفظ بالقارورة قليلاً ثم وضعها تحت التراب بعد أن أحكم غلقها جيداً، وكان قد تأكد أن لا أحد يراقبه. ما أن كاد يدخل خيمته حتى نهرته أمه على الأوساخ التي عَلَقَتْ بثوبه القصير، والغبار الذي كسا وجهه الأسمر ممتزجاً بالعرق الذي تيبس كخطوط الجير الأبيض على جبينه حتى أذنيه. جرَّدته أمه من ملابسه بسرعة، فدفعه الحياءُ إلى وضع كفيه عوضاً عن أوراق الشجر. حبس أنفاسه قبل أن تصب الماء البارد فوق رأسه، شهق للماء الذي غمره من كل...
تخلى عن الحياء دون وعي وهو يحاول إزاحة الماء والصابون من على وجهه. جففته أمه ثم البسته ثوباً آخر زخرفته الرقع من كل جانب. جلس حزيناً من تصرفات أُمه وصبها للماء على كل جسده دون رحمة أو شفقة.

وادي ماجد - ١

أ. عبد الله أبو زوير

"أمي، أنا جائع!" دُفِع أمامه بكسرة خبز من الشعير وقدح من لبن وتمر. أكل بشراهةٍ جائعاً. شعر بالارتياح وكأنه قد آب من سفر. بعد مداعبة أُمه له، تذكر ثروته التي حصل عليها اليوم.

"أمي، غداً سوف أصطاد الكثير من الطيور!" تذكر أفخاخه.

"أمي، أين أفخاخي التي صنعها لي أبي؟"

"هناك أسفل الصندوق."

خطا بخطوات سريعة ثم انبطح على صدره ومد يده تحت الصندوق المرتفع عن الأرض قليلاً. مدَّ يده وتأكد من وجودها بحاسة اللمس، سحبها وكانت ثلاثةٌ. جربها وتأكد لها أنها تعمل بصورة جيدة.

سمعت أمه نهيقاً. عرفت من نهيق الحمار أن زوجها قادم. البدو يميزون أصوات نهيق الحمير عن بعضها البعض. "أنا لا أعرف، فبداوتي حديثة. إذ أنني تركتُ حياة البداوة وتخلفت عن مواكبة المدنية. أنا لا... أين لي؟ أعيش في المدينة وكأني باقٍ من زمن مضى. والحقيقة أنني قد سقطتُ ما بين الحضارتين. ترى، هل البداوة حضارة؟"

"نعم! لأنها أُمَّةٌ لها حكام وقضاة وقانون وتاريخ وجغرافيا ومال وزراعة وتجارة وصناعات يدوية وطب وعلوم وتراث وأخلاق وعادات توارثت عبر قرون مضت. لهم أيضاً شعراء وأدباء وفلاسفة ومفكرون وأبطال في شتَّى الميادين. كل شيء لديهم! لكنني أنا الآن لا من هؤلاء ولا من هؤلاء. آهٍ لحيرتي... لم أذكر كل هذا!؟"

ما أن سمع بشارة قدوم والده حتى وقف يراقب انحدار الحمار به من فوق التلة. وما أن اقترب حتى وضع أسفل طرف ثوبه بين أسنانه وانطلق يعدو ناحيته مع تسارع خطى الحمار، فرحاً بعودته إلى مربطه. مدّ يده الصغيرة، فالتقطه والده ورفعه فوق (البردعة)، وأحاط صدرَه الصغير

أ. عبد الله أبو روير

بيده الغليظة خشية أن يقع. ضرب الحمار بقدميه الصغيرتين فلم يكترث له، لكنَّه هز رأسه يميناً ويساراً وضرب أذنيه ببعضهما. فضحك والده ثم قال: "الحمار يقول لك: لا!" اشتاط غيظاً وضرب الحمار بكفه على الرقبة، لكنهم كانوا قد وصلوا. أنزله والده بيد واحدة ثم أعطاه كيساً صغيراً به قطع من حلوى ذات ألوان مختلفة. ما أن جلس بين عمودي خيمته حتى تدافع أطفال النجع وجلسوا حول قدميه كجراء. راقبوا يده الكريمة وهي تفتش في خرجه عن الحلوى التي اعتاد كل رجالات القبيلة جلبها لكل أطفال النجع عند العودة من السوق البعيد. ما أن أخرج يده حتى علت الأصوات بين كل الأطفال. وزعها بعدل بينهم، وكاد أن يصفع أحدهم حين رآه يحاول نزع حلوى من آخر. طلب منهم العودة إلى خيامهم، فنهضوا متباطئين.

- "أبي.. غداً سأصطاد كل الطيور."

- "أنا أيضاً سوف أخرج للصيد. هل لك أن تخرج معي؟"

- "لا يا أبي، سوف أصطاد بأفخاخي خلف النجع، وسوف أمسك بكل الطيور التي تراها حولنا. وسأصطاد الكثير ولن أكتفي بعشرة، مثلما أنت تكتفي بثلاثة أو أربعة من طيور البحر الكبيرة."

- "سنرى من سيصطاد أكثر من الآخر."

كانت فرصة جيدة ليتبادل أطراف الحديث مع والده قبل حضور أخويه الكبيرين، وحينها يلتزم الصمت المطبق خوفاً من عقاب ينزل به من أحدهما في غياب والده.

سمع غثاء جديان وصهيلاً حملته الرياح من خلف التلال، وتأكد له أنهم أخواه وقد جلبا معهما الكثير من الماعز والضأن. كانت فرحته غامرةً بقدوم أخويه وبالجديان كانت أكثر. تدافعت الأغنام إلى المعالف التي

أ. عبد الله أبو زوير

أُعدت لها، ووقف يراقب والدته وهي تدفع بالمزيد من حبوب القمح والشعير كلما نقصت الأعلاف.

"أمي، كل هذه الجديان لي، أليست كذلك؟"

- "ابتعد الآن وإلا نطحك كبش الغنم أو تيس الماعز!"

- "لا تخافي يا أمي!" (ملتقطاً حجراً بيده لمجابهة أي هجوم).

- "هاك الحلوى."

"كل هذا لي يا أخي."

- "كلها لك." قالها أخوه الكبير وهو يدفع بكل الأغنام إلى داخل الحظيرة.

جلس بجوار أمه لتُحكي له الأساطير التي اعتاد على سماعها قبل النوم، إلى أن غلبه النعاس قبل أن تكمل الأم حكايتها الثالثة .

سمع همهمات حول النار فجراً. رفع رأسه الصغير فوجد والده وأمه. نهض مكفكفاً عينيه وخرج في صمت قاصداً ثروته. "آه!" أزاح التراب من فوقها وأخرج قارورته، وتأكد أن كل ما تركه فيها هو فيها. وضع طرف ثوبه بفيهِ ثم أفرغ مثانته فوق الحفرة. عاد ممسكاً بالقارورة، ولاحظ والده وبندقيته بجواره. ناولته أمه قدح حليب الماعز الساخن، فشرب منه القليل. مشى مع والده خطوات، لكنهما افترقا وذهب كلٌ منهما إلى حال سبيله.

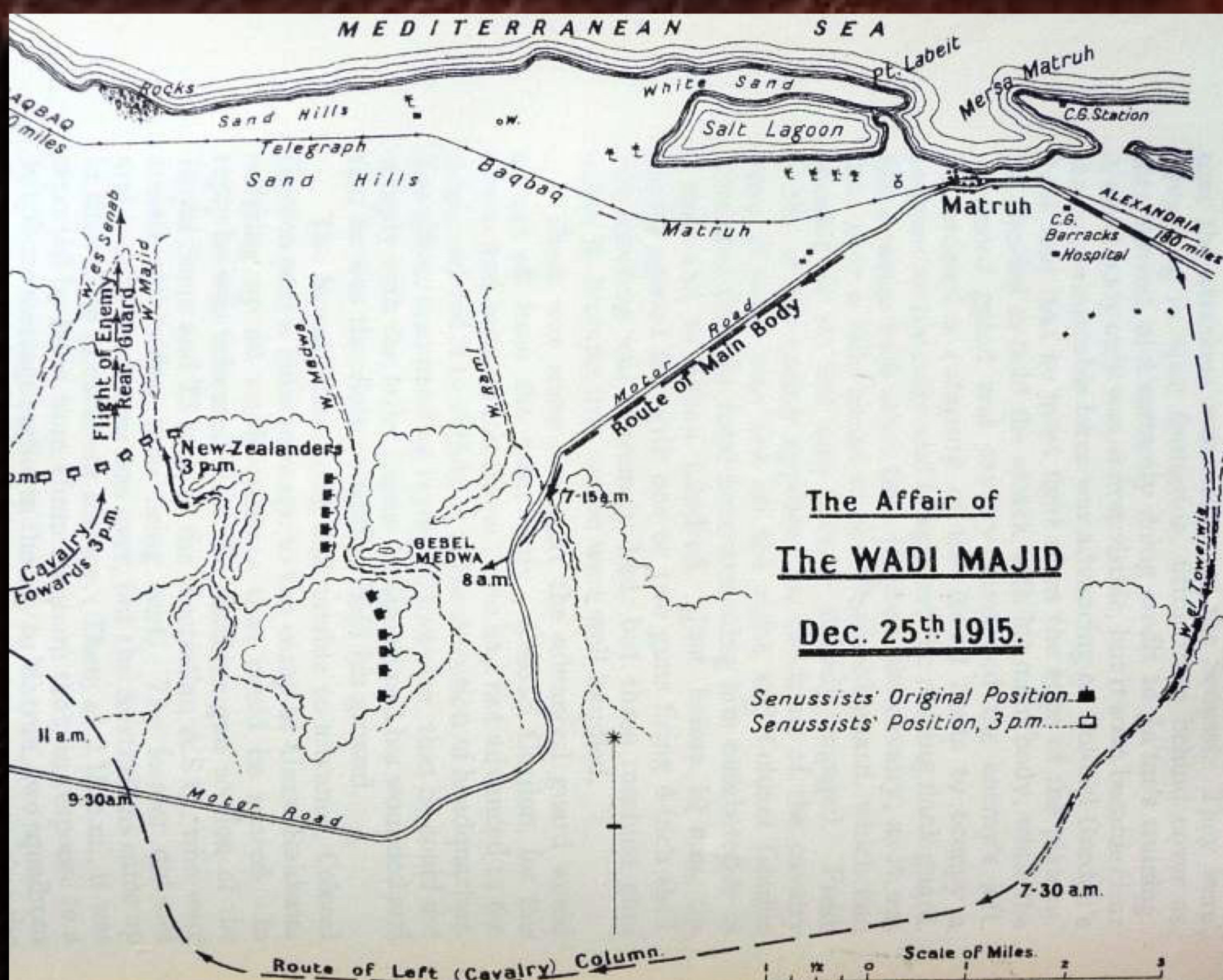
نصب أفخاخه بعد أن طعمها بالدود سريع الحركة، ودار عليها دورة كاملة مع إشراقة شمس الصباح. راقب بعينين لامعتين كل الطيور التي حطت في حقول الأفخاخ التي زرعت تحت التراب كألغام. شاهد طائر (الدقنوش) يرتكز فوق ناطور أحد أفخاخه التي غطاها بالرمل الأبيض فوق الأرض الحمراء لتلفت نظر الطيور أكثر للدودة التي يقبع تحتها

الفخُ بجوار ناطور مكون من سبعة أحجار. هكذا تعلَّمَ ممن كانوا يسبقونه العام الماضي. حبس أنفاسه وجثا على الأرض يراقب طائراً مازال حراً. نقر الطائر دودة الفخ، فأُطبق الفخُ على رأسه. جرى بأقصى سرعته وأمسك به بعد أن حرره، ولكن الطائر غرس منقاره في إصبعه الصغير. "يا بن الكلب.. يا بن الكلب.. يا بن الكلب!" قالها للطائر ثم حرَّره من برجليه باليد الأخرى. يده فترك (الدقنوش) إصبعه كي يفلت، لكنَّ الصغير كان ممسكاً...

نلتقي العدد القادم ..

وادي ماجد - ١

أ. عبد الله أبو زوير




مجلة
هلنا
شعر
م. محمود الفحام
عضو اتحاد الكتاب
من تُرى قد
أوهمه

ندّت من الأعماق اعذب هممه
لِمَ لا وبسمتكِ الَرقيقةُ ملهمه
الصمتُ والشعر العفيفُ تبَاريا
من ياترى في البَوحِ أعلى أسهمَه ؟!
كل الكرام من الجيادَ بساحيا
يامُهرةَ الأَشواق انتِ مُطَهَّمه
سلَت من الأحداق اسهمَ حسنها
والعاشق الصنديد اطلقَ ادهَمَه
قلبان ذابا في عناقٍ مُسكِرِ
ماعُدتُ اعرف صاحبي مَنً منهُمه
سلّمتُ امري للذي هو مُوثِقي
اوَ سحرُ عينيها؟ فقلتُ اجل هُمه
من ياترى سلب الفؤادَ صمودَه
اغراهُ حسنُك
ام تري قد اوهمه!
القيظُ والظمأُ المريرُ تلاقيا

من يا تُرى قد أوهمه

الشاعر. محمود الفحام

من يا تُرى قد أوهمه

الشاعر. محمود الفحام

فإذا بإسماعيل يأوي "جُرهُمَه"
يتساءلون ومن عساها
ياتُري ؟!
وإجابتي تُبقي الإجابةَ مُبهَمَه
إني اري هذا الدلالَ وقد سما
يحتاج في ترويضه ان تفهمه
ابواب قلبي خِلتُها قد حُصِّنت
فإذا بها من جيش حسنك مُدهَمّه
وانا اكتفيتُ من الحياة بحبكم
فالصب ينسي زادَهُ ودراهمَه
آهٍ علي حب ترنم شادياً
واليوم إعصار النوي قد ابهمه
كم كان امسي كابتسامات المُني
َمابال ايامي غدت متجهمه ؟!
يانفسُ كُفّي عن هواكِ هنيهةً
إني اراكِ مع الهوي متوهمه

مجلة
هلنا

"الحمّام"
عروس مدائن الصحراء الغربية

الأثري :
عبد الله موسى
لعشيبي
مدير الآثار بمطروح



الأثري. عبد الله موسى لعشيبي

يُنظر إلى مدينة الحمام باعتبارها دُرة مدائن الصحراء الغربية، حيث تقع على طريق ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد 65 كيلو متر غربي مدينة الإسكندرية، و16 كيلو متر من برج العرب، يحدها من الشرق برج العرب المدينة الحديثة نسبيًا، والتى شيدت في عهد السير براملى مفتش البوليس بالصحراء الغربية إبان الإحتلال البريطاني، وبنى بها قصره الشهير، بالقرب منها تقع مدينة قديمة من العصر البطلمي قبل ميلاد المسيح، تُدعى "تابوزيريس ماجنا" عاصمة مريوط الثانية، وبجوارها البرج الشهير فنار "برج العرب" المُطل على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

- الموقع الجغرافي

تكتسب مدينة الحمام موقعًا جغرافيًا متميزًا، يحدها شمالاً ساحل البحر الأبيض المتوسط وجبل وبحيرة مريوط أو جبل "الحمام" وميناء "مراقية"، والذي يعود تسميته لشعوب المرمريق القديمة، والتى سكنت المنطقة حتى قورينا "برقة"، وسميت المنطقة على اسمها "مرمريكا" وتم تعريب الاسم لمراقيا بعد الفتح الإسلامي، أما جنوبًا فيحدها قصر "القطاجي"، وهو قلعة رومانية قديمة وبالقرب منها آبار سيدي عبدالعاطي وصحراء بحر بلا ماء، ومن الغرب محطة الرويسات وذات العميدين، حيث القلعة الشهيرة، والتي بُنيت في عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، سلطان مصر والشام وبرقة؛ وذلك لحماية الحدود الغربية لمصر. يمر خلال الحمّام سكة حديد الخديوية، والتي تصل الاسكندريه بساحل مارماريكا "مطروح"، والتي شُيدت في عهد الخديو عباس حلمي الثاني، والذي عزم مد خط سكك الحديد حتى عقبة السلوم

الأثري. عبد الله موسى لعشيبي

لمسافة 500كيلومتر، وكذلك خط سكك حديد من ميناء براتنيوم "مطروح حاليا" وحتى سيوة، ولكن لم يسعفه الوقت، حيث عزله الاحتلال البريطاني أنذاك.

وطريق الساحل، طريق أثري قديم سلكه العديد من الغزاة والفاتحين، حيث مر به الرومان والقرطاجيون والإغريق، وسار فيه العرب فاتحين لبلاد المغرب والأندلس، وعاد منه الفاطميون لفتح مصر، وكتب عنه العديد من الكتاب والمؤرخين القدامى وتدل الآثار والنقوش التى اندثر أغلب معالمها على الحضارة والبهاء وغاية العمران في هذه البلدان من الإسكندرية وحتى عقبة السلوم وبرقة، كما مرت به جحافل الجيش البريطاني ووقعت معارك ضارية بين الإنجليز وقوات التاج البريطاني من جهة والقبائل العربية بقيادة السنوسي عام 1916م.

- الأهمية الاقتصادية

تعتبر مدينة الحمام مصدرًا هامًا ومركزًا لتصدير الغلال إلى الإمبراطورية الرومانية، واشتهرت بالزراعات الكثيرة مثل القمح والشعير والتمر وبها طواحين الهواء في جميع أرجاءها، وتشمل مساحات واسعة من وادي مريوط، وتعتبر ملتقى لطريق القوافل التجارية وطريق ركب الحجاج المغاربة، الذي كان يمر ببئر "الحمام " ليتزودوا بالماء والمؤن من سوقها الشهير، ويتجهون جنوبًا إلى بومنا جنوب غرب الإسكندرية، ثم إلى وادي النطرون ومنها إلى مصر.

وتعد المدينة أهم مراكز القسم الشرقي لمحافظة الصحراء الغربية "مطروح " والتي تضم العامرية، إيكينجي مريوط، بهيج، برج العرب، الحمام، العميد؛ لعراقتها وسعة الحركة التجارية فيها، في

سوقها يلتقي تجار ليبيا والصحراء الغربية بتجار الوجه البحري والدلتا.

قال عنها الرحالة الأندلسي البكري في كتابه مسالك الممالك: "وذات الحمام هي سوق جامعة بها جامع بناه زيادة الله الأغلبي خلال منصرفه من الشرق إلى إفريقيا، وهو آخر أمراء الأغالبة الحاكمة لشمال إفريقيا من عام 902-909م بإزائه بير غزيرة طيبة حولها جباب وبساتين وبها قصر خرب يرجع لصاحب مصر وبها يقيم عسكره.

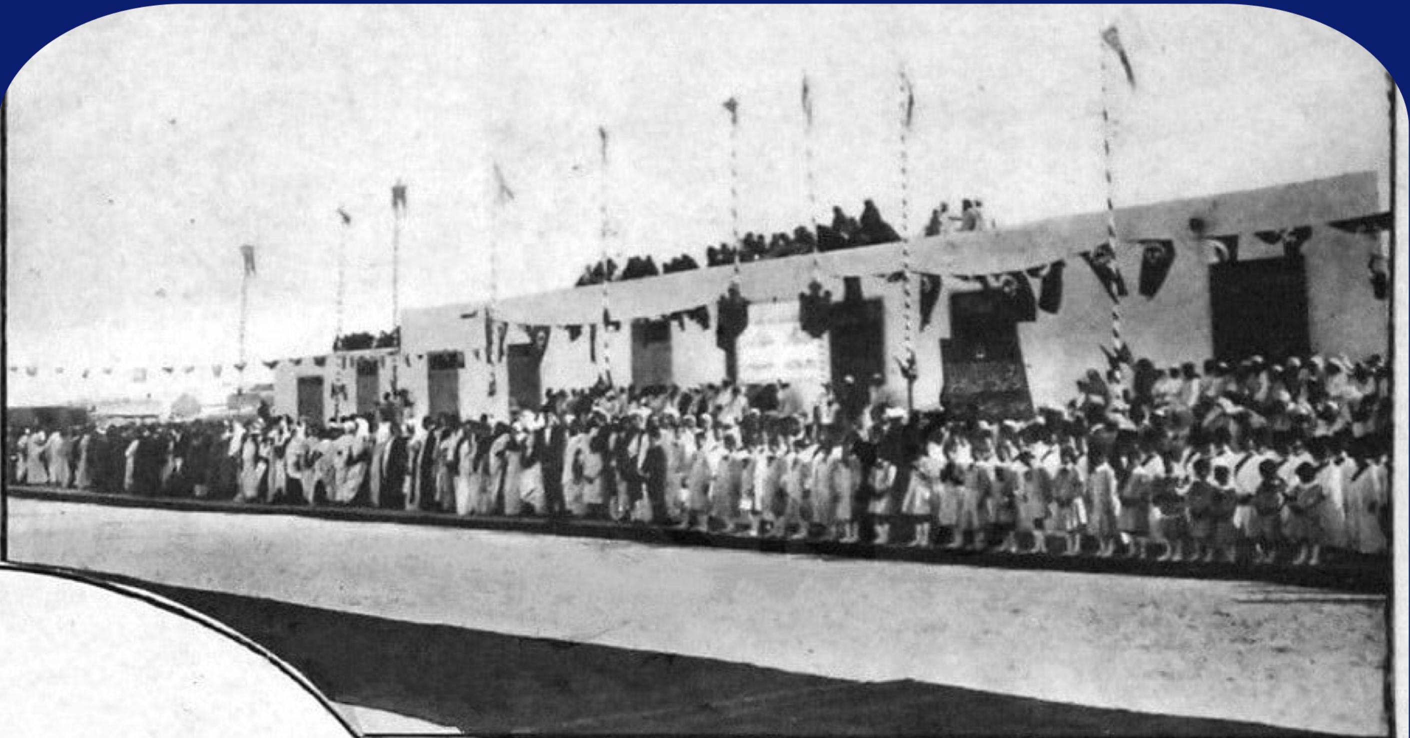
• قبائل الحمام

ينتمي أغلب سكان الحمّام إلي قبائل: السناقرة وأولاد خروف (علي الأبيض)، والقنيشات والعشيبات والكميلات (علي الأحمر)، والعراوة والقطيفة والسمالوس (من قبائل السننة)، والشتور (من الجميعات).
من كتاب لهجة إقليم مريوط.

•الاسم خلال العصور

تعد مدينة الحمام واحدة من أهم مدن ساحل البحر الأبيض المتوسط خلال العصور اليونانية الرومانية والإسلامية، فقد عُرفت لدي الإغريق والبطالمة باسم "مينو كامينوس"، وعرفت في العهد الإسلامي بذات الحُمّام (بتشديد الميم)؛ وذلك لأسباب نسردها لاحقا.
هناك أسباب عديدة تتصل باسم الحمام: أولها أنه يُنسب إلى طير "الحمام" الذي كان حاضرًا وبكثافة نتيجة لتراكم الحاصلات والحبوب على أرضها، والتي كانت تصدر لأوروبا من ميناء مراقية قبالة أبوصير، وقد كان هذا الحمام يسكن في الآبار الرومانية؛ وبناءً على ذلك أطلق عليها قديما "ذات الحمام" والتي

الأثري. عبد الله موسى لعشيبي



الاحتفال باستقبال جلالة مولانا الملك المعظم في بلدة الحمام عند تشريفه اياها يوم ١٣ اكتوبر . وترى الوجوه والاعيان وطلبة المدارس قد اصطفوا على جانب الطريق تجمهرت النساء على سطوح الابنية المجاورة لتحية جلالته بزغاريدهن . وقد زينت الدكاكين بالاعلام ورفعت على الجدران لوحات كتبت عليها عبارات الترحيب

زيارة الملك فؤاد للحمام 1928

الأثري. عبد الله موسى لعشيبي

اختصر فيما بعد بـ"الحمام". حتى تم تحريفها إلى تشديد الميم وأصبحت "الحمّام".

ورجح آخرون العديد من أسباب التسمية، ومنها أنه نسبة لوجود أكثر من 45 بئر حمام للمياه بها، فيما ذكر البعض وجود حمام مشهور بها: لإزالة عرق الأسفار في الصحراء.

بدوره يقول الدكتور عبد العزيز مطر:"وُجد سبب آخر مرجح لدي، لم يذكره أحد من قبل، غير أنه ورد في كتب العديد من المؤرخين مثل البكري المتوفى عام487هـ/ 1094م في كتابه (المسالك والممالك) حيث يقول: وسُميت ذات الحُمّام: لأن كل من شرب من مائها حُمّ إلا من عافاه الله، ولذلك يقول ركب الحجاج والمارين بها من الرحالة والتجار: رب سلمنا من الحجاز وغلاها .. ومن مصر ووباها ومن ذات الحُمّام وحُماها، وأما الحُنْية فهي شطر حنية قائمة في وسط فحص بينها وبين البحر شرب يُقال أنها باب الإسكندرية، وبين الحُنّية وذات الحمام مائدة رخام أسود يُقال انها مائدة فرعون تحتها جُب "بئر" يعرف بالتيس، سكنها بعد الفتح الإسلامي قوم من بني مدلج من كنانة من قريش وهم قبيلة اشتهرت بقيافة وقص الأثر، وأقوام من البربر.

ترددت الأوصاف الجغرافية والمعلومات التاريخية عن مدينة الحمام في مؤلفات الجغرافيين والمؤرخين المسلمين، فهذا اليعقوبي ت292هـ/ 891م في كتابه "البلدان" يقول:"سكنها أيضا من عرب الفتح بنو قرة الهلاليين، نسبهم من عبد مناف بن هلال، إليهم تُنسب (قبيلة المنفة).

ولهؤلاء "الهلالية" وقائع وأخبار مع الفاطميين، وثورتهم بدأت منذ عام 1005م، كما يسكنها منذ مايقرب من ألف عام قبائل من سُليم

إثـر هجرتـهم الكبرى عام 442هـ /1050م، وتـقاسموا بين أبناء عمومتهم الهلاليين الاستحواذ على أكثر مناطق شمال إفريـقيا.
وفي الخطط التوفيقية 1887م، قال علي باشا مبارك: "وبين الإسكندرية وذات الحمام ثمانية وثلاثون ميلا". فيما قال برث السياح ان بئر الحمام في الجنوب الغربي للإسكندرية على بعد 34 ميلاً، ثم من ذات الحمام الى الحُنية وهي موضع آخر اسمه من اسم قبة قائمة هناك في وسط الرمل، ويفصلهاعن البحر تل يُقال أنها بوابة الإسكندرية؛ لذلك ظن البعض أنها قد تكون قرية ابوصير ببرج العرب مع أن البعد بين الحنية والإسكندرية إثنان وسبعون ميلا وبين الإسكندرية وأبوصير على ما ذكره الإدريسي عشرون ميلا، فليست الحُنية محل ابوصير، وحول الحُنية عائلات من عرب مزاته البربر يسكنون اخصاص من النبات، وبينها وبين الحُمام حجر من الرخام الأسود، تقول العرب انها سفرة مائدة فرعون وهو الآن غطاء لصهريج يُسمى "جب التيس".

• الآثار الإسلامية بمركز الحمام

تحوي مدينة الحمام على الكثير من الآثار الإسلامية، لعل أبرزها:

•قلعة العميد

كأغلب مدائن الصحراء الغربية، تتمتع العميد بتاريخ ممتد عبر العهد الروماني والإسلامي، حيث ذكرت العميد باعتبارها محطة رئيسية على الطريق الرئيسي للقوافل، وكذلك درب الحج، والذي يخترق الساحل الشمالي وصولاً للصحراء الليبية.
تقع العميد على ساحل البحر على الطريق الواصل بين ذات الحُمّام (مدينة الحمام حاليا) والعلمين، وذكرت المصادر التاريخية أن سبب التسمية بـ"العميد" أو "العمودين" جاءت بسبب بناء الظاهر

الأثري. عبد الله موسى لعشيبي



منارة تابوزيروس لإرشاد السفن

الأثري. عبد اللّٰه موسى لعشيبي

بيبرس لعدد من القلاع والحصون في مصر والشام وبرقة، مثل: قلعة الجزيرة بمصر، وقلعة السويس، و"قلعة العميدين ببرقة" والتي أشتق منها الاسم لاحقًا، لتعرف بقلعة "العمودين" الموجودين بالقلعة حينئذ، ليتحول إلى الاسم المصغر "العُميد" فيما بعد.

لقد ذهب الظاهر بيبرس على رأس الجيش المملوكي عام 672 هـ /1290م؛ ليفرض الاستقرار بالإقليم، ويقيم الحصون على طول الساحل للدفاع عنه ضد حملات الإفرنج، وقد أورد الرحالة المغربي العياشي في كتابه "الرحلة العياشية" أنه مر على ماء يُقال له "العميدين"، وذلك عام 1690م، وهي آبار عدة في صخر بساحل البحر، وجوارها حصن مبنى بناءً محكمًا في غاية الإتقان كهيئة أبراج الإسكندرية، ولقينا عليه أعراب كثيرة معهم حاكم البحيرة".

لم تتوقف خطى الرحالة على العميد جيئة وذهابا، فقد مر بهذا المكان "جان ريمون" الرحالة الفرنسي عام 1824م، حيث قال:"وعسكرنا في قصر العميد، وهو قصر عربي يقع على شاطئ البحر، يتكون من طابقين، وهو عبارة عن مربع كبير، وعلى كل جانب يوجد برج قائم الزوايا أيضا، يشكل البرج الجنوبي المدخل الرئيسي للقصر، إن جانبي المدخل وجبهته تتكون من الجرانيت الأحمر، يوجد بهذا القصر مثله مثل الحصون فى العصور الوسطى باب ثان، يتكون من مسطح حجري ضخم يتم رفعه عن طريق سلاسل حديدية وبكرات مثبتة فوق المدخل الرئيسي، يتربع على واجهة القصر سبعان (أسدان) على رصيف بارز مُزدان بخطوط وكتابات عربية لم يبق منها سوى بقايا مشوهة".

الأثري. عبد الله موسى لعشيبي

ما يُضفي أهمية كبيرة على آثار العميد بالنسبة للتاريخ، هو هذا النقش الذي نحت بشكل بارز على سطحية شبه مستديرة مُزركشة بخطوط عربية رُسمت بعناية فائقة، تقول : "بسم الله الرحمن الرحيم، أمرنا بأبتناء هذه القلعة السعيد الوالي السلطان الأعظم الملك الظاهر ملك العرب وملك رقاب الأمم، ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس، قسيم أمير المؤمنين أعز الله أثاره، بيد العبد الفقير المغفور له أحمد الطاهر اليغموري".

- سبب اختفاء قلعة العمودين

في عام 1873م بنيت منارة ملاصقة للقلعة القديمة، ويُقال أن بقايا القلعة قد هُدمت إذ ذاك؛ للحصول على الحجارة لبناء منزل حارس المنارة، هذه المنارة أُطفئت في الحرب العالمية الأولى، وأطفأت بعدها؛ لأن خليج العرب لا يقع على أي خط ملاحي معترف به".

- محمية العميد

وتضم العميد محمية طبيعية تزهو بغطاءها النباتي والحيواني منذ أن تم تسميتها ضمن المحميات الطبيعية المصرية عام 1986م، وتقع على السهل الساحلي على بعد 83 كم غرب الإسكندرية، وتتميز بتكويناتها الجيولوجية المتميزة التي تضم الكثبان الرملية، والسفوح الصخرية، وتنشر بها الأودية ذات الأراضي الخصبة، وتضم المنطقة تكوينات الرسوبية والطباشيرية، كما تزهو محمية العميد بنباتاتها البرية والطبية، وتنتشر بها بعض الحيوانات مثل: الغزلان والأرانب البرية، والثعالب، والسحالف، والزواحف، والجرابيع والفئران.

الحمّام عروس مدائن الصحراء الغربية



معبد تابو زوريس ماجنا ببرج العرب

محمية العميد

الأثري. عبد الله موسى لعشيبي

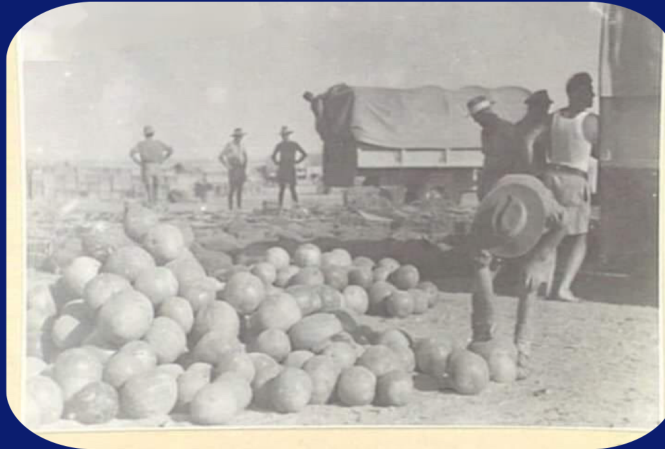
الحمّام عروس مدائن الصحراء الغربية

الأثري. عبد الله موسى لعشيبي


محمية العميد




قلعة العمودين بالعميد


سوق الحمام


صورة لمدينة الحمّام

مجلة
هلنا

صورة لها تاريخ

أ. ناجي بو المسمارية



عضو لجنة
التراث بمطروح

أ. ناجي بو السمارية



صورة يظهر فيها حمد باشا الباسل والساعدي المصري (أخ لملوم باشا) على يمين ويسار سعد باشا زغلول، تبين ما كان عليه شيوخنا وزعماء القبائل البدوية من مكانة رفيعة وشأن عظيم ودور مهم في قيادة البلاد والدفاع عنها والذود عن حماها منذ تصديهم للحملة الفرنسية في الإسكندرية بقيادة محمد كريم.

- وقد اعترف نابليون بونابرت نفسه في مذكراته بشراسة البدو وقتلهم للكثير من جنوده أثناء دفاعهم عن مصر.
- ونعود لحمد باشا الباسل كواحد من أهم مؤسسي حزب الوفد وأشرس المفاوضين في محادثات الوفد المصري في باريس لجلاء الإنجليز عن مصر. فقد كان - رحمه الله - ينفق على الحزب من حر ماله، وكان نائبًا لرئيس الحزب، وتقلد رئاسته في بعض الأوقات العصيبة من تاريخ مصر.
- وكان هو ولملوم باشا يتمتعان بمقدرة عظيمة في تحشيد الجماهير وتحريك المظاهرات ضد الإنجليز، وكانا من أسباب ثورة 1919 بما كان لهما من تأثير على جميع القبائل العربية بمصر. وهذا ما أزعج الإنجليز وجعلهم ينفون حمد باشا الباسل مع سعد زغلول إلى جزيرة سيشل.

أ. ناجي بو المسمارية

•أما لملوم باشا، فقد ظلوا يطاردونه لسنوات، وقد تصدى لهم أكثر من مرة بقوة السلاح. وبعد هذا الكفاح والجهاد ضد المستعمر الإنجليزي، جاءت ثورة يوليو. ورغم وقوفه مع ثورة 52، حكم عليه عبد الناصر بالإعدام كجزاء سنمار بعد أن رفض تأميم أملاكه وقاوم ذلك بالقوة. وبعد تدخل الملك فيصل، خفف حكم الإعدام عنه ونفي إلى جزيرة مالطا.

• وكانت ابنة لملوم باشا (عمدة الفوايد) هي الملكة علياء زوجة الملك إدريس السنوسي ملك ليبيا. وقد شهد على عقد زواجها من الملك إدريس كلاً من جمال عبد الناصر (وهو من بني مرّة) وعبد الحكيم عامر (وهو من قبائل التراهنة الترهوني). وحضر بعض الملوك العرب حفل الزفاف قبل أن ينقلب عبد الناصر على عائلة لملوم ويحكم على كبيرهم بالإعدام ويصادر أملاكهم. وقد طلقت من الملك إدريس سنة 1958 لعدم إنجابها ولياً للعهد، ولم ينجب الملك بعد ذلك.

• وكان حمد باشا الباسل ولملوم باشا من أغنى أغنياء مصر، وهما من قبائل السعادي من قبيلة الفوايد برغوث الجبارنة، فرع من أبناء ذيب أبو الليل السلمي.

• وكذلك كان من نفس الجيل أيضاً أحد أبناء القبائل العربية من الشرقية وهو طلعت باشا حرب مؤسس نهضة مصر الحديثة، وكان له دور أيضاً في الكفاح ضد الإنجليز عن طريق الاقتصاد، حيث أنشأ بنك مصر (أول بنك مصري برأس مال مصري كامل) بعد أن كان ذلك محظوراً على المصريين، وأنشأ شركات الزجاج وحلج القطن وصناعة الغزل والنسيج والتأمين. وهو من عرب محافظة الشرقية، وقرأت ذلك في مجلة التعاون التي نشرت سيرته الشخصية وقصة حياته كونه المؤسس للتعاونيات بمصر، وسنفرد له منشوراً خاصاً به في مقال آخر.

صورة لها تاريخ

أ. ناجي بو السمارية

- وهذا الأمر ليس تفاخراً، فليس هناك فرق بين عربي أو أعجمي إلا بالتقوى. ولو كان لنا أن نفتخر - نحن قبائل بني سليم - فسنفتخر بأننا أول من دخل مكة يوم فتحها مع النبي، ودخلوا بفارس من سليم. ونفتخر بأننا أخوال الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان يقول: "أنا من عواتك بني سليم"، فللنبي ثلاث جدات وكلهم اسماؤهن عاتكة. وهذا كله مدون في كتب السيرة.
- وهذا توضيح لمن يجهل تاريخ هذه القبائل ويمن عليها ويشكك في انتمائها، فهي من حررت الأرض والعرض والوطن من ظلم الرومان وطردتهم منه بحد سيوفها، وبذلت الغالي والرخيص من الأرواح والأموال والدماء في سبيل طرد الرومان منها، وخاضت صراعاً مريراً ضد المماليك بقيادة شيخ العرب همام الذي أقام دولة في جنوب مصر.
- وقد قاومت العربان كل غازٍ ومحتل، وتركتها لكل المصريين آمنة مستقرة، ورفعت الظلم عن الأقباط وعن سكان شمال أفريقيا الأصليين، وعاشوا سوياً نسيجاً واحداً بدون ظلم ولا إقصاء. رحم الله أجدادنا، فتاريخهم يشرفنا.
- وللأسف يجهل الكثير ذلك أو يتجاهلونه عمداً. فنحن نعلم أننا عرب مصر، أقدم مكونات الشعب المصري، ونحن من رفعنا عنهم ظلم الرومان ونيرهم. ثم أتت بعد ذلك بمئات السنين مكونات أخرى (أحفادهم لا يزالون يعيشون بيننا) من العثمانيين والمماليك والكرد والأرناؤط والأرمن والشركس والشوام، وعاشوا بسلام آمنين.
- وتقلد المماليك والإنكشارية والعثمانيون حكم مصر لفترات طويلة، وظلت القبائل العربية تقاومهم ولم تخضع لهم، وستظل هي درع الوطن وحامية حدوده ضد كل غازٍ محتل غادر.

مجلة
هلنا

في الصميم

الأمانة والصدق



الصحفي حسني جرامون
رئيس مجلس ادارة
وتحرير جريدة الرأي
الاخر والصحفي
بالميدان

الأمانة والصدق

الصحفي حسني جرامون

الأمانة والصدق هما قيمتان أساسيتان في بناء المجتمعات، وتلعبان دورًا هامًا في تعزيز الثقة والاحترام بين الأفراد. عندما يتحلى الأشخاص بالأمانة والصدق، يمكن أن يؤدي ذلك إلى بناء علاقات قوية ومستدامة وتعزيز التعاون.

• ما هي الأمانة؟

الأمانة هي الالتزام بالوفاء بالوعود والالتزامات والتصرف بنزاهة وصدق في جميع الأمور. تشمل الأمانة العديد من الجوانب، مثل:

١. الأمانة في التعامل المالي :
الالتزام بالوفاء بالديون والالتزامات المالية.

2. الأمانة في العمل :
الالتزام بالقيام بالواجبات والمسؤوليات بشكل أمين ونزيه، وعدم الكذب على المواطنين.

3. الأمانة في العلاقات :
الالتزام بالوفاء بالوعود والالتزامات في العلاقات الشخصية.

• ما هو الصدق؟

الصدق هو التعبير عن الحقيقة دون تزييف أو تحريف. يشمل الصدق العديد من الجوانب، مثل:

١. الصدق في القول :
التعبير عن الحقيقة دون كذب أو تزييف.

2. الصدق في الفعل :
التصرف بما يتوافق مع القيم والمبادئ.

3. الصدق مع النفس :

الالتزام بالصدق مع النفس والاعتراف بالأخطاء والعمل على تصحيحها، وعدم وعود الناس كذبًا.

• أهمية الأمانة والصدق

الأمانة والصدق لهما أهمية كبيرة في بناء المجتمعات، منها:

1. تعزيز الثقة :

الأمانة والصدق يعززان الثقة بين الأفراد والمجتمعات.

2. بناء العلاقات القوية :

الأمانة والصدق يساهمان في بناء علاقات قوية ومستدامة.

3. تعزيز التعاون :

الأمانة والصدق يعززان التعاون والتعايش السلمي بين الأفراد والمجتمعات.

• كيفية تعزيز الأمانة والصدق

هناك عدة طرق لتعزيز الأمانة والصدق، منها:

1. التعليم :

تعليم الأمانة والصدق منذ الصغر.

2. القدوة :

أن يكون القادة والقدوات أمثلة جيدة في الأمانة والصدق.

3. التشجيع :

تشجيع الأفراد على التحلي بالأمانة والصدق.

• الأمانة والصدق هما قيمتان أساسيتان في بناء المجتمعات.

يجب علينا أن نعمل على تعزيز هذه القيم من خلال التعليم والقدوة والتشجيع، لتعزيز الثقة والاحترام بين الأفراد والمجتمعات.

مجلة
هلنا

عفاريت الشيخ حسن

د.م. إبراهيم شعبان

دكتوراة الهندسة البحرية
والاقتصاد الهندسي وكبير مهندسي
صناعة السفن في مصر واليابان



عفاريت الشيخ حسن

د . م . ابراهيم شعبان

قبل أن نبدأ في سرد ما تبقى من ذاكرة وذكريات عفاريت الشيخ حسن، أرى أن نسرح قليلاً في مسرح حكاياته التي لا تنتهي. فـ"أبو المطامير" ليست وطنه ولا أرض مولده، لكنها الأرض التي هاجر إليها هو وإخوته بعد المضايقات والمعارك التي شملتهم بعد وفاة أبيه "عمدة الخوالد"، وذلك بناءً على اقتراح والدي – طالب الأزهر – للحصول على درجة "العالمية" في القضاء، والتي حصل عليها بعد بضع سنين. وكان هو أصغر إخوته بفارق خمسة عشر عاماً. هرباً من المعارك اليومية بما فيها من بث الحرائق في الزرع، ووضع السموم للمواشي، وكل المضايقات والخسائر، استجابوا لرأيه وهاجروا إلى أرض أخرى أوسع وأكبر، أمامها ترعة الحاجر ويخترقها ممر مائي قادم من النوبارية. ترعرع فيها الشيخ حسن وأولاده كثيراً، وبرعوا في زراعتها... لكن المشكلة أنها تبعد ما لا يقل عن كيلومترين من المباني أو الأحياء، عدا أربعة من جيرانه...

أما الوالد فقد تخرج بشهادة "العالمية" في القضاء الشرعي، وتزوج، وتم تعيينه في البلينا في الصعيد. أما نحن – ذرية الشيخ القاضي – فكانت إقامتنا معه حيثما ينقل، ولذلك فأبناءه أصبحوا من مواليد شتى أرجاء المملكة – أو جمهورية مصر الآن – أما نصيب والدي في الأرض فيرعاها الشيخ حسن وأولاده.

عفاريت الشيخ حسن

د . م . ابراهيم شعبان

كنا جميعاً نذهب إلى العزبة... عزبة سيدي محمد الذي لا يعرفه أحد، ولا من أين جاء، أو من بنى له هذه القبة الخضراء في قلب المدافن، والذي أصبح له مولد يجمع الكثير من المتصوفة والمشردين، وعدد ليس بقليل من بائعي الحمص والحلويات، وبائع "الدندورما" والتي تسمى حالياً "جيلاتي"...

هذه نبذة قصيرة لنتعرف على مسرح عفاريت الشيخ حسن، ولماذا تفتق ذهنه عن اختراع عدد كبير من العفاريت لحماية أرضه وزرعه وبيته وماشيته من السرقة والاعتداء من قبل النشطين من عصابات السرقة، خاصة في فصل الشتاء القارص.

كان في الخامسة والثمانين يوم قررت زيارته في منزله في العزبة، حيث هو وجيران أربعة لا غير، والأرض والأنعام التي يمتلكونها وأبناؤهم... كان - رحمه الله - رائعاً بمعنى الكلمة: في جسده الطويل النحيف الممشوق، والعمامة الأزهرية التي يعتز بها بصفته من رواد الأزهر الشريف، وفي تركه ليرعى الحرث والنسل، وفي حواره مع الصغير والكبير. ورائع أيضاً في شنبه المفتول الذي أعطاه مهابة أخرى فوق قيمة العمامة... لم يكن في ذهني شيء على الإطلاق إلا أن أكون مودعاً، فقد لا نلتقي بعدها أبداً... وكان ترحابه جميلاً بي، وكأنه يشعر بما

أشعر به. وجلسنا على الحصير في "المندرة" الكبيرة التي طالما شهدت ضيوفاً وصواني الوجبات الثلاث، والهرج والمرج عند أذان المغرب - حيث الوجبة الأهم في اليوم كله - كما شهدت صلاته في الفجر فيها بصوت مرتفع، يقرأ فيها ما تيسر وما لا يتيسر من القرآن، ثم يختم الصلاة - وهي دائماً ما تبدأ بسورة "يس" - ثم بعض دعاء الصوفية مثل: **(يا هو يا غوثاه، يا هو يا من ليس للراجي سواه)**، وينهيها بـ: **(باسم الله العزيز، باسم الله العزيز)** قدراً عظيماً...

هنا رُصَّت الطَّبالي والصواني، وفوقها الكثير من الأطباق بكرم واضح... عندها فقط دخل رجل لم أعرفه من قبل، وكأنما دُعي إلى وليمة عرس... كان عبارة عن كرش متحرك على عُودين من خشب... ورأس كبير ملتصق بصدره دون أي ملامح لوجود رقبة أو ما يشبهها...

- السلام عليكم يا شيخ حسن!

وجلس قبالته على الطبلية دون انتظار لرد السلام، لكن الشيخ حسن رد سريعاً:

- وعليكم السلام!

وعزمه معنا على المشاركة، وقد كان، وحمدنا الله بعد أن قضينا على كل ما على الطبلية بلا رحمة أو شفقة... ودخلنا في دور "الشاي الحبر" المقرر بعد الأكل، وتكئ كل منا على إحدى

المساند المتفرقة هنا وهناك... كان لا بد للشيخ حسن أن يجر بعض الحديث مع ضيفه "عويضة"...

.إيوه يا عويضة، انت فاكر أيام الحرب وأزمة الشاي؟ لما كنت راجع من دمنهور وبعت القطن، انت موش كنت واللي معاك متربصين لي علشان تقتلني؟ إيه اللي منعكم؟

عويضة:

.اللي منعنا إنك لمحتنا وقلت: "السلام عليكم"، واحنا ردينا السلام غلط! فحرم دمك علينا... ما هو انت يا شيخ حسن معاك عفاريت قالت لك إن إحنا متربصين بيك! وممكن هما اللي خلونا نرد السلام...

تعجبت من الرد البليغ الذي قاله عويضة دون تردد... فهو يعرف الشيخ حسن حق المعرفة، وكان كلما ضاقت به الدنيا يلجأ إلى بيته للأكل والشرب، وربما للنوم حتى الصباح، مرتحلاً ببعض الفطار والشاي إلى حال سبيله. ماذا قال هذا الرجل الذي عاش حياته على السرقة والقتل؟ لقد قال للتو: **(إحنا ردينا عليك السلام فعصم دمك منا)**... أليس عجيباً أن مثل هذه العصابة تفهم معنى كلمة **(السلام عليكم)** ليكون أماناً بين القتلة؟! هكذا فهمتها. أما باقي الكلام، فبالنسبة لي كان هذا كافياً لفتح باب العفاريت عند الشيخ حسن...

د . م . ابراهيم شعبان

استزهد عويضة من كل ما يلزمه، ورحل إلى حيث ألقى رحله... فتجاسرت على عمي حسن وسألته مباشرة:

. يا شيخنا، لماذا لا تحكي لي بعضاً من حكايات عفاريتك؟

وضحك ضحكة خبيثة، وبرم شاربه - كعادته عندما يلقي قولاً ثقيلاً أو يحكي حكاية لها من مميزات الفخر عن نفسه وفي صدره - ثم قال:

. انت يا أبو خليل هتعمل زي العيال! هو فيه عفريت غير البني آدم؟!

ومحاولة مني لفتح باب العفاريت أوسع قبل أن يغلقه الشيخ، قلت:

. طيب، احكيني عملت إزاي الجنية بتاعة فتحة الهاويس؟

وصفّق مرة أخرى، وبرم شاربه مرات حتى أصبح مدبباً كالخنجر، ثم قال:

**. بص يا سيدي... في أحد أيام "التحاريق" في أوائل الشتاء، الترعة مافيهاش مية، وأرض الترعة رملة بيضاء والمياه نظيفة. فتحركت ونزلت على حجارة المنزل للوضوء منها، وإذا بي جنية فارعة ومنكمشة على نفسها، ويغطيها شعرها الأسود الداكن، وتستحم من ماء الترعة بكفيها على رأسها، وشعرها يتدلى على ظهرها كأغصان الصفصاف متدلية في الماء القليل في الترعة... توقعت أنها جنية في كامل حسنها، فتوضأت ولم

تختفِ رغم صوت المياه في الوضوء. من الاستغراب، قررت أن أقرأ عليها آية الكرسي والمعوذتين، فلم تلتفت ولم تنصرف. فقلت: عليك بسورة "يس"، فقرأتها بصوت بين المسموع والمرتفع ليصل إلى أذنيها، فلم تتحرك أيضاً! ورويداً رويداً بدأ نور الفجر، فلم أنتهِ ولم تتحرك! فبدأت بقراءة: "يا هو يا غوثاه، يا هو"، فإذا بها تخاطبني مباشرة: (مكفاية كده يا شيخ حسن! اتحرك وابعد، الفجر هينور وانت هتفضحني ! الله يفضحك!)

عندها عرفتها! وهي جارة لنا… فقلت لها: (أنا هديكي ضهري وانتي البسي هدومك وتعالي احكيلي بتعملي إيه.) فاعترفت أنها كانت تعمل عمل لزوجها علشان ما يتجوزش عليها… فقلت لها: (خلي الطابق مستور، روحي البيت ونامي، وقولي إنك عيانة، وأنا عليا الباقي.) في الصباح، أهلها قالوا: (تعالي شوف فلانة.) فادعيت أنها ملبوسة من جني رافض أن أي حد يشاركها في جوزها، وإلا هيتمكن من جوزها كمان… بعدها ادعت أن جنية وعينيها بطلع شرر أحمر وشعرها متدلي وبتستحمي في الترعة، ولو حد تلصص عليها أو شافها هتنتقم منه وتغرقه!

. طيب، إيه حكاية الشيخ عبد الرحمن اللي في الأرض؟

ـ آه! دا الولاد كانوا بيرووا الأرض في الليل وموش عايزهم يخافوا، فكنت أمشي في الذرة أو القصب وأخروش جامد، وأكون شفت أحوال الري، وأخاطبهم باسمهم بصوت متغير كتير، وأبلغهم عن الأماكن اللي عايزه مية، والأماكن اللي خلصت… ولما سألوني، قلت لهم إنه جني صالح بيحرس الأرض وبيساعدكم… وذاع صيت "الشيخ عبد الرحمن" الجني الصالح والجنية، وعشرات من القصص حمت الأرض والزرع والبيوت، وأصبحت أنا الحكيم في العزبة وما حولها…



نلتقي العدد القادم …

مجلة
هلنا

برمت فيك
نا والعين..
نريد هلك
ياداروينهم

رواية من البادية

الغزال العاشق

الفصل السادس

أ. صابرين الصباغ

الأديبة والكاتبة
المصرية



- نعم سنعود أدراجنا.
كأنها نسيت دنياها فتموت قدماها لتنتظره على أعتاب غيابه.
بدون أدنى مقدمات تشرق دنياها بنورها الوضاء، مصادفة أعادت الروح إلى جسدها المسجى بلحد حياتها، فها هي الجريحة تجد دواء العمر، هو وحده القادر بممحاة وجوده على محو الحزن والقسوة التي تراها على يد أمها من فوق أسطر عمرها الصغير.
نور يبتسم لها...
لتتسمر بمكانها كأن قدميها فقدتا ذاكرة المشى، لكنها شعرت أنها تجمع بساط الطريق من تحت قدميه ليأتيها سريعًا.
يقترب منها، ينظر إلى وجهها يرى فيه ملامح قلبه ويتأكد أنها وحدها التي يمكنها أن تقتل خفافيش وحدته، ها هو يروي بجداول الحنان المتدفق من عينيها أرضه العطشى وسنينه الجرداء.
- آية كيف حالكِ،و أنتِ يا سماح؟
- الحمد لله، لكن تنقصني أشياء لا تعوضني عنها الدنيا وإن ملكتها.
- سماح خذي النقود واذهبي لتشتري حلوى.
- شكرًا عمي.
تنظر إليها آية بالموافقة، تأخذ سماح النقود وتهرع إلى محل الحلوى.
- أين أنتِ؟ نوارس عشقي تشتاق إلى بحرك، كم أفتقدك.
- أمي،... تمنعني من الخروج.
- ألا تشتاقين إلى رؤيتي مثلما أشتاق إلى رؤيتكِ؟ هل تعلمين أنني لا أبرح من أمام منزلكم إلا بعدما تطفئون الأضواء؟ تظل عيني معلقة بنافذتكِ حتى تظلم وأطمئن أنكِ غفوت.
عندما تصعدين السلم أقبل جداره بل وأحسده أنه لامس يديكِ وشعر بحرارتهما، لي أعوام أسير خلفك وكأنه يكفيني أن تلمس قدماي الأرض التي وطأتها قدماك وأسأل أصدقائي إن كانوا رأوكِ فإن حدث يكون يومًا مظلمًا أمزقه من دفتر عمري؛ فقد ظهرت شمسه ورآها الجميع عداي.
- لماذا تفعل كل هذا؟!
- أمازلتِ تسألين؟! ألا تشعرين بهذا الطوفان الذي يجتاح مشاعري بلا هوادة يجرف أمامه كل محاولاتي للثبات فتموت على أعتاب عينيكِ قوتي وكياني؟

- ما هذا الذي أسمعه؟ أذني لا تحتمل! كم كنت أتمنى أن تنطلق عنادل كلامك من أقفاص صمتها لكني لم أتخيل أنه إن تحدثتَ تثور عواصف العشق لتجتاح مشاعري اجتياحًا.

- أرجوكِ لا تأسري عواطفكِ بل أطلقي سراحها؛ أنتظرها بلهفة غائب لرؤية الأحباب.

تشعر آية بأنفاسه الملتهبة تحمل بين جنباتها نيران الغرام التي ألهبت مشاعرها ليغيب الزمن وينمحي الوقت فيصمتان وتتحدث العيون بلغةٍ جديدة لا حروف فيها ولا أوراق تأسرها.

تغلّب بحروفه على من أثروا الدنيا بحديث الغرام؛ فسمعت منه أعذب مما قاله عنتر لعبلة وجميل لبثينة ، تعاهدت العيون أن يكمل عمرها عمره مع وعد بالثورة والاتحاد لقتال عنيف لكل من يتصدى لمشاعرهما محاولًا وأد غرامهما.

- أبلة آية تأخرنا، هل نسيتِ أمي؟

- نعم يا سماح، هيا بنا.

- مع السلامة .

قالها وعيناه تناشدانها البقاء .. لكنها رحلت بجسدها وتركت بيديه مسبحة من نبضها.

- سماح أرجوكِ لا تخبري أمي أننا رأينا نور حتى لا تغضب.

- لن أخبرها.

ببيت حميد العاشق القديم ...

- كان الفرح حلوًا، راعينا خلق واجد كانوا غايبين عنا يا خسارة الدنيا صار ما يقرب بين الناس غير الفرح والموت، الناس ما يتقابلوا ولا يسألوا عن بعظهم.

- تعرف ريت مين بالفرح؟ (بدون أن تنتظر منه إجابة) .. سلمى .

تلطمه زوجته برياح اسمها الباردة لتنتفض مشاعره الدافئة بعشقها وتستيقظ من غيبوبتها! تنتصب روحه داخل جسده وهو جالس صامت لا يستطيع أن ينبس بحرف حتى لا يعيد الحروبَ القديمة بينهما، وكلّ ما تبقى منها مسطورًا بكتاب الماضي.

تنتظر منه أن يسأل عنها أو أن يحاورها لتقتص منها فيه، لكنه فضل أن يضع نقاطًا خرساءَ في آخر سطور حديثها.

- اقهرتني يا حميد، وهى تخظر لبنتك ونا نناديها باسمها، مَرّتْ تجري وهى تبكي بعدما سمعت اسم البنت وبعدما قامت كل النسوان تموا يخظروا ويتغامزوا علىّ وعليها.

يترك زوجته تكمل ثرثرتها بعدما يتمسك بجملة وقعت منها دون أن تدري، (فزت تجري وهى تبكي).

يهمس لنفسه:

أمازلتِ يا سلمى تذكرين حميد؟ ليتني رأيتكِ.. قلبي يتمنى أن يراكِ وأن يُسمعك وجيبه الذي لم يهدأ يومًا ،والله لم أنسكِ بعد هذا العمر وكلما غبتِ كلما زادت نيران شوقي إليكِ، أوتعلمين أن يومًا واحدًا بجوارك أدفع فيه عمري كله؟ أحقيقي كنتِ بجواري ولم يفصلنا سوى جدار ولم أركِ؟ يالحسرتي! كيف تشرق شمس قلبي ولم ينعم نبضي بدفئها لحظة.. كيف؟

(يا محبوب معاك بصبري .. نين دراعك يفحت قبري)

- حميد تسمعني؟

- هه .. إمعاكي.

- بنتها اسمها آية سبحانه سمحة تقول إيش!

- ربي يخليها لها ويسعدها.

ينهض من أمامها حتى لا تشم رائحة احتراق حطب عشق جمعته بيديها وألقمته فرنَ مشاعره لتلتهمه نيران أشواقه لغرامه القديم.

تأخذه قدماه هناك حيث المكان الذي تفجر فيه بئر عشقهما وكان يزمُه لترتوي منه سلمى وحدها دون نساء العالم ولتشاركه أشجار التين والصخور والرمال وكل ما يدب بصحراء حزنه!

(خليت يا عزيز العقل بكاي ليل.. والليل ما كمل)

بالمنزل بعد لقاء آيه ونور تنظر سلمى إليهما شزرًا...

- ليش توخرتم؟

- لم نتأخر، برغم إلحاح عمتنا لنمكث للغداء فرفضنا.

تهرع آية إلى غرفتها تحتضن طفلها الوليد خشية عليه من أن تسمع أمها صوت مناغاته في قلبها فتئده حيًا.

- سماح، ريتم حدا؟

تتلعثم وترتبك رعبًا ...

- نعم.. لا ..كلا .. هـه .

تصفع سلمي الطفلة على وجهها حتى إن أصابعها سقطت منها فوقه فأصبح وجهها وكأنه دفن تحت جلده جمرة نار متقدة!

تهرع إلى آية وقد اختنقت بدموعها، تنظر إليها آية تقتلها نظرات سماح وتضمها إلى صدرها.

تسألها أن تغفر لها ما حدث بسببها.

ها هى سماح أول من يدفع فاتورة هذا الحب، تسأل يا ترى كم هى الفواتير المطلوب من آية دفعها لقاء هذا العشق؟

يمر اليوم ...

آية شاردة، ما زالت حواسها تقف هناك حيث كان نور يضيء عمرها بحديثه، وما عاد منها إلى البيت إلا تمثالًا متحركًا يشبهها.

ينام الجميع عداها، فهناك ضيف جديد يسكن عمرها يؤرقها ويسرق طعام ملائكتها .

تسمع طرقات خفيفة على نافذة غرفتها...

- مَن؟!

- نور.

ترتبك وتتردد في فتح النافذة فيخرج قلبها ذراعيه رغمًا عنها ويشق صدر النافذة ويزاحمها ليرتوي من نهر غرامه !

- ما الذي أتى بك في هذه الساعة المتأخرة؟!

- والله إن ساعاتي كلها متأخرة وأنا بعيد عنكِ.

- لكن قاربنا على الفجر.

- ألا تشعرين بحبكِ الذي يعانق قلبي، ويرتع فيه فصار مليكه وسيده؟ والله ماجئت إلا عندما جذبني إليكِ شوقي الذي سرق مني غفوتي وحتى صحوتي فصرت كالمخبول الذي لا يعرف الفرق بين النار والنور.

تتوه آية في كلماته التي تسيل رقة ...

- آية اشتاقكِ مع كل نهار يسجي وليل يتجلى، لو أن أشجار الدنيا طرحت وأثمرت أقلامًا لن تكفي لتصف لكِ مقدار حبي واشتياقي وإن استطاع العاشقون جميعهم وصف عشقهم فشوقي إليكِ لا يوصف!

تهديه آية ابتسامة من ثغرها تثمله، وتكتفي بعِقد كلماته المرصع بعشقه، ترتديه وتهنأ به عمرًا.

- نور.. اذهب قبل أن تستيقظ أمي، ويكون ليلي طويلًا لا نهار له .

- لا أدري لماذا تعاملني أمك بقسوة مع أني أحبها؟
- لعل أحدًا أخبرها بشيء سيء عنكَ؟
يذهب وهي تغلق غرفتها التي تغير هواؤها بهواه الجديد.
يستيقظون في الصباح على صراخ وعويل ...
تخرج سلمى سريعًا وتسأل أحد المارة ..
- قُتل سعيد البدوي، قتله أحد الرجال وهو يتشاجر لفقير أهانه الرجل.
- صِدق؟!
- نعم، لقد رأيته وهو ملقى في الشارع وقد واروا جثته بالجرائد.
- لا حول ولا قوة إلا بالله، عاش عمره شهم كان راجل وسند للغلابة يا خسارتك يا سعيد.
يمر اليوم أسودَ حزينًا باكيًا على خيرة شباب البدو، سلمى تبكي شبابه وآية تتذكر شهامته معها.
تفيق سلمي من نوبة حزنها...
تبحث عن آية، سمعتها آية وهي تسأل إخوتها عنها؛ هل باحت لهم بسر من أسرارها أو أنها على علاقة بأحد؟!
بدأ الخوف يسكنها، فبدأت تأخذ حذرها حتى لا تقع فريسة في شباك صياد قاسٍ لا يرحم قلب الغزال الرقيق.
كلما تذكرت نور تنسى معه خوفها واستبداد أمها.
بدأت ترحل إليه في يقظتها فذابت كقطعة سكر في كوب حنانه. مرت عليها أيام وليالٍ وهي شاردة لا تسمع شيئًا فقد غطى دويّ نبضها على كل الأصوات حتى صرخات أمها المتسلطة!
عاشت غارقة في بحر عشقها،لم تكن تدري أن هناك وحشًا قويًا يراقب خطواتها وسكناتها، وضعتها أمها تحت الميكروسكوب في محاولة منها لفك شفراتها وتفسير صمتها.
يدخل صلاح من المقهى ممسكًا رأسه يشكو من صداع سيفجرها.
تقابله سلمى، وتشفق على دموعه الجافة التي تشعر بها ولا تراها،
فتطلب منه أن يجلس على الأرض لتعالجه كما كانت تفعل عمتها.
(بالشذ) تربط رأسه بمنديل، وتعقد المنديل على عصا فرد العجين (النشابة) وتدور بها وبالمنديل فيضغط المنديل على رأسه وتظل تضغط بالمنديل على رأسه حتى يذهب الصداع، و الشذ لعلاج وجع الصدر أيضًا)

أ. صابرين الصباغ



ينهض صلاح يشكو من وجع المنديل وضغطه على جلد جبهته لكنه لا يشكو من الصداع.

تمر الأيام متشابهة...

إلى أن تأتي اللحظة التي استطاعت فيها سلمى تصيّد الغزال العاشق؛ فقد رأت ذلك السهم المشتعل الذي مزق قلب ابنتها وعرفت من أى الأقواس خرج لتحرقها نار الحب التي أشعلت مشاعر آية.

نلتقي العدد القادم ...

تقديم : م. عصمت ضيف الله الملهطاني



كتاب



الواحات المفقودة

للجغرافي الرحالة

أحمد حسنين باشا



جزء 3

الفصل الثالث : الزاد والمتاع

رست الباخرة في 21 ديسمبر العام 1922 في ميناء السلوم، وهو ميناء غير قريب من حدود مصر الغربية. وكان الاتفاق أن نأخذ الجمال من السلوم ونذهب عن طريق جغبوب إلى الجالو، وهي المركز المهم لتجارة الصحراء، حيث تم تحضير كل القافلة للبدء برحلتنا إلى الجنوب.

ولمثل رحلتي هذه ، دائمًا مراحل عدة، تنتابك في كل مرحلة منها مشاعر خاصة وتجارب مختلفة. فإني حين وقفت في دار أبي في تلك الغرفة التي يسيح في أرجائها القاتمة عبق البخور، اعتبرت القيام بهذه الرحلة ضربًا من الأحلام، يبهرني احتمال تحقيقه، غير أن اليقين منه كان بعيدًا. أما في السلوم، فقد واجهتني الوقائع على الأرض التي تستلزم جمع الزاد والمتاع وحزم كل شيء حجمه غير وضعه للاستهلاك، والتحقق من وجود كل الأغراض، ومن ثم التأكد مع أصحاب الإبل من المرحلة الأولى من الرحلة. وعند الجالو تبدأ المرحلة الثالثة، حيث أتقدم القافلة وأشق طريق الكفرة التي قطعتها من قبل ثم تنكرت لي معالمها، على الرغم من أنني بدأت مرحلتي الأخيرة في أحشاء تلك الفيافي المجهولة التي لم تطأها قدم مكتشف من قبل.

وقد سبقني إلى السلوم عبدالله وأحمد ومعهما أمتعتي الضخمة، وتم تحضير الجمال وفق الاتفاق.

وفي هذه المناسبة، لي أن أصف هذين المصريين اللذين اصطحباني في هذه الرحلة. كان عبدالله نوبيًا من أسوان، متين البنية، متناسب الأعضاء قويًا، عيناه صغيرتان غائرتان، يلوح فيهما الذكاء وروح الدعابة بقدر كبير من العنفوان واللامبالاة. وكان يبلغ من العمر أربعين سنة له من العلم القدر الوافي ومعرفة عميقة بالقرآن الكريم.

وقد التقيت به للمرة الأولى العام 1914 حين كان في خدمة الأسرة الدريسيّة في القاهرة، وحملت له محبة كبيرة منذ أن رأيته للمرة الأولى لما توسّمته فيه من حظّ فكاهة وصدق. وكان عبد اللّه أمينًا جدًا، فاستودعته المؤن والذخائر. وكان يحسب للطوارئ ألف حساب، فلا يخلو متاعه مما نحتاج إليه من سيور جلدية وإبر كان يستخدمها البدو الأوائل لرتق الأحذية، بالإضافة إلى أدوات أخرى لتقويم المعوج وإصلاح المكسور من أعمدة الخيام. وكان دائمًا على استعداد لمواجهة كل ظرف من الظروف. فكان في وسعه أن يظهرني بدويًا من عرب مصر الرّحل، أو تاجرًا أو موظفًا كبيرًا في الحكومة، كما حدث حين وصلنا إلى الأراضي السودانية.

غير أن عبد اللّه كان لديه خصلة غريبة، وهي أن النعاس يغلب عليه بين الغروب وبعده بساعة أو اثنتين وكان يصعب إيقاظه من غفوته، وكان لا يتمالك نفسه عن التثاؤب أحيانًا وهو جالس يتحادث. وأتذكّر أننا ذات مساء انتهينا من العشاء، وكان النعاس قد غلب على عبد اللّه، وإذا برفيقي البدوي الأمين الزروالي، وكان قد انضمّ إلينا في جالو ، أراد ممازحته، فأخذ كمية كبيرة من الزعتر ووضعها في كوب الشاي الذي كان أمامه. وعندما استيقظ عبد اللّه من النوم، واكتشف الأمر بعد أن تذوّق كوبه، لم ينبس بكلمة، وأعاد الكوب إلى مكانه. ولكنه التفت بعد قليل إلى الزروالي قائلاً:

«أظن أنك كنت تنتظر زيارة أحد، وإني أسمعه قادمًا». وما إن قام الزروالي للتحقق من الأمر، حتى بدّل عبد اللّه كوبه بكوب الزروالي الذي كان نصيبه أن جرع ذلك الشاي بالزعتر، بينما راح عبد اللّه يتثاءب كعادته آمنًا مطمئنًا.


احمد حسنين باشا


فؤاد الأول- ملك مصر


السيد ادريس السنوسي


مقبرة السنوسي الكبير

وظهرت غريزة الاتجار لدى عبد اللّٰه في أوجها حين وصلنا في نهاية رحلتنا إلى بعض البلاد المأهولة بالسكان. وكانت المواد الغذائية قد بدأت بالنفاد، فجمع كل ما فضل عن حاجتنا، بما في ذلك علب الصفيح الفارغة وزجاجات الأدوية وشفرات الحلاقة المستخدمة، واستبدل كل ذلك من السكان بزبدة ولبن وتوابل وجلود.

وهنا أوّد أن أشير إلى أن عبد اللّٰه أحسّ بانزعاج كبير عند عرضي شريطًا مصورًا لرحلتي أثناء إلقائي محاضرة حضرها جلالة الملك في دار الأوبرا في القاهرة. فحين رأى عبد اللّٰه نفسه في كثير من الصور في ثوب مهلهل، آلمه أن يظهر في تلك الحال المزرية أمام الملك، وطلب مني، إن كان في المقدور، تغيير تلك الصور بحيث يظهر فيها بمظهر أنفس وملابس أنظف.

أما أحمد، فكان أيًضا نوبيًا من أسوان، طويل القامة ويتمتع بإرادة صلبة. وكان خادمي الخاص وطاهيًا. وعلى الرغم من أنه كان بمتعلم، إلا أنه اختار مهنة الطهي لأنه أراد أن يكون حرًا طليقًا. وقد أبى أن ينزل عند رغبة والده الذي اختار له حياة دينية، حيث لم تستهوه العيشة ببساطة وزهد وتقشف. وكانت الضحكة لا تفارق وجهه، وكان محبوبًا من جميع أفراد القافلة، على الرغم من أنه كان يتلفظ أحيانًا باللعنات والشتائم. ولو أن أحدًا غيره تلفظ بكلمة واحدة من تلك الشتائم، لكانت كافية لإراقة الدماء بين رجال القافلة، ولكنهم اعتادوا ذلك منه وكانوا يمازحونه بذلك.

واعتاد أحمد، بعد انتهائه من الطهي، أن يجلس مع البدو ويهزأ من مدى معرفتهم بقواعد الدين، ويظهر التفوّق عليهم بتأليف مقاطع من شعر الزهد واستعراض مجموعة من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان أحمد متفانيًا في خدمتي، فلم يكن يفوته أن يقدّم لي كوبًا من الشاي في أحرج الظروف وأقلها ملاءمة لذلك. وأذكر أننا سرنا ليلة كاملة

ثم حططنا الرحال، وكان أحمد يشكو ألمًا في قدمه، فقلت له حين بدأ ينصب الخيام إنني لست بحاجة إلى الفطور أو الشاي حتى أصحو من النوم، وأذنت له بالنوم فتركني، وما إن انتهيت من إعداد غطائي حتى جاءني بكوب من الشاي الساخن. وعلى الرغم من الشتائم التي كان يكيلها لرفقائه البدو، إلا أنه لم يكن ليتوانى عن الاهتمام بتخفيف الآلام على من يمرض منهم. فقد تعلّم مني بالتدريج كيفية استخدام الأدوية الموجودة معي، وكان كلما صعب عليه معرفة دواء يأتيني بالزجاجة للتأكد ما إذا كانت مادة الكينين أو الأسبرين.

وأود أن أشير إلى نقطة أخرى، لأؤكد أن ما يحتاج إليه الإنسان خلال رحلته في الصحراء بسيط، والأشياء التي يحملها مجتازو الصحراء معروفة وتكون متماثلة في كل حالة. فغذاء الصحراء هو الطحين والأرز والسكر والشاي. والجدير بالذكر أن كل سكان الصحراء يحبون أكل اللحم، ولكن لا يمكن حمله بطبيعة الحال، فلابد للإنسان من الصيد إذا أراد أكل اللحم. أما الشاي فهو شراب أهل الصحراء في ليبيا وهم يفضلونه على القهوة لسببين، ديني وعملي. السبب الديني يعود إلى أن السيد محمد بن علي السنوسي حث أتباعه على الابتعاد عن حياة الترف ، وأمر السنوسي نافذ، فهو مؤسس الطائفة السنوسية المهيمنة على أمور البلاد التي قررت السفر إليها. وقد شملت أوامره تحريم الدخان والقهوة، ولكن لسبب ما، لم يتذكر الشاي.

وبالتالي، تجد كل أتباعه يحبون الشاي إذا صحّت المقارنة بين ذلك السائل المر الذي يعطي النشاط للبدو أثناء السير وينعش نفوسهم آخر النهار، وبين ذلك الشراب الذهبي السخي ذي الرائحة الزكية الذي يُوزع على الموائد في بلاد أوروبا وأميركا.

والسبب الثاني هو أن أهل الصحراء يفضلون الشاي على القهوة لأنه يبعث فيهم النشاط للعمل. وهم يشربونه عندما ينتهون من تناول الطعام ويختمون به رحلة اليوم الشاقة. وبعد هذه السلع الغذائية الأساسية، إن لم تكن أهمها جميعًا، يأتي البلح. فهو غذاء رجال القافلة كافة والجمال على السواء، خصوصًا إذا نفد الزاد أو ضاق الوقت للطهو. ولكن بلح الصحراء ليس تلك الفاكهة الشهية التي يتلذذ بأكلها أهل الغرب على موائدهم ويحملونها معهم في رحلاتهم الترفيهية القصيرة. فإن البلح الذي يحمله المسافر في الصحراء يجب أن لا تكثر فيه مادة السكر لأن السكريات تسبب العطش، ولابد من توفير الماء إذ إن الآبار تبعد عن بعضها البعض مسافة أيام. وقد حملت معي بعض الأطعمة المعلبة كلحم البقر والخضر والفاكهة. ولكن هذه العلب ثقيلة والإكثار منها يتطلب زيادة في عدد جمال القافلة.
وكان معي بعض من القهوة، ولكن قلما كنت أشربها، فرحت أقدمها إلى من صادفتُه خلال الطريق. وكان بحوزتي كذلك قليل من زجاجات أقراص اللبن المركز، وكانت تنفعنا كثيرًا عندما يسوء الطعام. ولكن البدو لم يميلوا إلى هذه الأقراص، لأنها كما كانوا يقولون كانت تُشبعهم دون التمتع بلذة التذوق. هذا ما كنا نحمله من الأغذية، بالإضافة إلى الملح والتوابل، خصوصًا الفلفل لطهي ما يُعرف بالعصيدة . ولم يكن هناك الكثير من التنوع في الأغذية، ولكن التنويع في المأكولات مسألة مفروغ منها عندما تكون المؤن محملة على ظهور الدواب التي تعيش في الغالب على ما يمكن أن تحمله. ولم أكن أحمل طعامًا خاصًا شهيًا أتمتع بلذته بذاته من رتابة الأرز والخبز والبلح والشاي.
فمن يجرب السفر في الصحراء ويتعلم دروسه، يدرك إنه يجب أن يحمل من المأكولات اللذيذة

التي تكفي رجال القافلة كافة. ففي الصحراء تمحى الفوارق كلها ولا يعود هناك تمييز بين غني وفقير.

بيد أن التبغ هو الشيء الوحيد الذي ميزت به نفسي عن بقية الرجال. ولكن هذا لم يكن في الواقع خرقًا للقاعدة، إذ لم يكن بين رجال القافلة من يدخن إلا شخص واحد، شاركني لذة التدخين التي نعمت بها أثناء الرحلة، لكثرة ما حملت معي من السجائر والتبغ المصري.

ويأتي الماء بعد هذا وهو المشكلة الكبرى والدائمة التي تواجهنا في الصحراء. فرأينا أفرادًا يعيشون أيامًا عديدة دون طعام، إما لحاجة قضت بذلك أو على سبيل التجربة. أما إذا تحمل أحدهم العطش لمدة أربعة أيام دون ماء، فذلك يكون معجزة. والصحراء تُسمى بالصحراء لخلوها من الماء، وعلى المسافر في الصحراء أن يفكر أولًا بهذا العنصر الحيوي.

لقد قمنا بحمل الماء بطريقتين: فأخذنا حاجتنا منه في خمسة وعشرين «جِرْبَة» (قربة من جلد الغنم)، غير أن هذه القرب يسهل انفجارها إذا اصطدم جملان ليلًا ببعضها على طريق صخرية! ولذلك أودعنا الماء الذي قد نحتاج إليه للحالات الطارئة في فناطيس. وهذه الفناطيس عبارة عن حاويات مستطيلة تتدلى على جوانب الجمال. وكان معنا ثمانية فناطيس، سعة الواحد منها ما يملأ أربع قِرَب، فالماء كان يكفي كل أفراد القافلة في أطول المراحل التي تفصل بين بئر وأخرى. ووضعنا الماء الاحتياطي في فناطيس فقط، وإن كانت أكثر أمانًا من القرب، لأن هذه تشغل حيزًا كبيرًا إذا فرغت. فقد يكفي جمل واحد لحمل الخمس وعشرين قربة فارغة، في حين لا تزيد حمولة الجمل الواحد عن أربعة فناطيس، سواء أكانت ممتلئة أم فارغة.



جالـو



التاج - مقر السنوسيين في الكفرة



سيــوة

وكان لدينا كذلك بعض «زمزميات» من القماش، لكننا رمينا معظمها لأنها كانت تشق علينا كثيرًا في حملها. واحتفظنا بالقليل منها لتبريد الماء فيما بعد عند اشتداد الحر. فعندما تتبخر الرطوبة من منافذ قماش الخيش، تبقى درجة حرارة الماء معتدلة.

وكان من ضمن متاعنا أربع خيام، اثنتان منها أسطوانية الشكل والرابعة مستطيلة، بالإضافة إلى العديد من أدوات الطبخ، أهمها حلة كبيرة (وهي وعاء كبير لطهي الأرز). واستعدادًا لحالات الطوارئ كنا نحمل صندوقًا من الأدوية يحتوي على الكينين واليود والقطن والأربطة، ومادة ساليسيلات البزموث لمعالجة الزحار (جراثيم معوية)، وأقراص من المورفين و حقنة ومصل مضاد لسعة العقرب (وقد نفعنا كثيرًا أثناء الرحلة في حالات حرجة)، ومرهم من الزنك لمعالجة الأكزيما ، وأقراص ملينة وأملاح الابسوم لمعالجة الحرقة والإمساك. إلى جانب ذلك، كنت أحمل معي بعض الأدوات التي تُستخدم في الجراحة البسيطة وأدوات وأدوية لمعالجة أمراض الأسنان. وباختصار، كنت مجهزًا بكل ما قد يساعدنا في علاج الأمراض العادية اليومية. أما إذا استدعى المريض على أحدهم وعجزنا عن علاجه، فكان لابد لي من تفويض أمره إلى اللّٰه قائلًا كما تقول العامة: "الشفاء من عند اللّٰه".

وفي مجال آخر، لم أنسَ أن آخذ معي، بهدف الصيد والدفاع عن الذات، ثلاثة مسدسات كبيرة وثلاث بنادق وبندقية أخرى لصيد الطيور أهديتها قبل عودتي، بينما زادت أسلحتي بست بنادق أخرى ومسدسًا كبيرًا. ولما وصلت تلك الأسلحة إلى السلوم في صندوق غريب الشكل، راح الناس يهمسون ويقولون إني أحمل مدفعًا رشاشًا لغاية خفية تخيلوها وفق أهوائهم. وما لبثت هذه الشائعة أن راجت. وبهدف التقاط صور وافية

ومعبرة تظهر تفاصيل مناظر الرحلة، حملت معي خمس آلات تصوير، ثلاث منها من نوع كوداك، بقيت تعمل على أحسن ما يرام حتى نهاية الرحلة، وواحدة أكثر تطورًا تلفت بسبب تسرب الرمال إليها، والسادسة كانت من آلات السينماتوغرافيا. وقد استعملت في التصوير بهذه الآلة فيلمًا من نوع "إيستمان كوداك"، حفظته بعناية شديدة في علب من الصفيح، ثم وضعت هذه العلب في صناديق من الصفيح أيًضا مبطنة بنشارة الخشب، ووضعت كل هذه في صناديق من الخشب. غير أن هذه الاحتياطات لم تكن كافية نظرًا لشدة الحرارة في مطلع الرحلة والأمطار الغزيرة والرطوبة التي عانيناها فيما بعد في السودان. وكان طول الشريط السينماتوغرافي الذي حملته معي 9000 قدم. وفي الواقع، لقد وفقت بكل الصور التي التقطتها، ولم يتم تحميض الجزء الكبير منها حتى عودتي إلى مصر بعد ثمانية أشهر، ولكن لم أخسر منها نسبيًا سوى القليل.

أما لباسي، فكان عبارة عن ثوب البدوي العادي المكون من قميص وسروال، مصنوعين من نسيج قطني أبيض، كما ارتديت جردًا عربيًا مصنوعًا من الصوف، بالإضافة إلى كوفية وعقال. كما حملت معي بعضًا من الملابس الحريرية وسراويل من الجوخ الأبيض في المناسبات الخاصة فقط
مثل دخول الواحات والخروج منها، ومقابلة رؤساء العشائر وكبار أهل الصحراء. ولم أسعَ أن أرتدي زي أهل الصحراء حتى انتهيت من المرحلة الأولى. فتركت السلوم في بدلة من الخاكي وسراويل ركوب قديمة. وكانت هيئتي مشبوهة بتلك "الشباشب" الصفراء التي كنت أنتعلها والتي لا ينفع غيرها للسير في الصحراء، وأضف إلى ذلك اللباس الليلي لحماية نفسي من البرد القارس.

وكانت العادات عند السفر في أراضٍ مجهولة في البلاد الشرقية، أن يقدم الإنسان الهدايا للرجال المشاهير الذين يلتقيهم. وكان بحوزتي كمية وافرة من الحرير والأواني النحاسية، والمباخر المطعمة بالفضة، والمناديل الحريرية، وأباريق وأكواب صائغ مصنوعة من الفضة، وزجاجات عطر، وأجراس من فضة كان يسر البدوي أن يستعملها لاستدعاء خدمه، بدلًا من التصفيق. وعندما كنت أرى هذا الكم الكبير من الهدايا، أصبح واثقًا من أننا عائدون بنصفها. ولكنني لاحظت عند وصولنا إلى الكفرة أن الميل إلى قبول الهدايا لم يقتصر على من أدى لي خدمة في هذه الرحلة، بل تجاوزهم إلى كل من أدى لي أي خدمة في رحلتي السابقة، مهما كان حجم هذه الخدمة. وأدركت بالتالي أن كل ما حملته لم يكن كافيًا لإرضاء من توقع الهدية قبل عودتي ومن استحقها في رحلتي الثانية. ولم تكن هذه الهدايا مني مقابل خدمة ما أو توقعًا لنفعٍ ما، وإنما كانت بمثابة تحية أو تذكار من بدوي من المدينة إلى أخيه البدوي المقيم في الصحراء.

وأذكر هنا أن أهم ما خرجت به من هذه الرحلة وأكثرها إفادة، من حيث الأبحاث العلمية والتاريخية، كانت تلك الأجهزة العلمية والأدوات الفنية التي تكلم عنها بتفصيل الدكتور بول في تقريره في ذيل هذا الكتاب.

وأمضينا في السلوم أسبوعين، كنت فيهما شديد الاهتمام بتهيئة أسباب الرحلة، كما اعتنيت إلى حد كبير بتنظيم كل شيء وترتيبه، لأن الأشياء التي تنقل على ظهور البعير تحتم حملها كل صباح وإنزالها كل مساء، ونقلها فوق بعضها البعض تجنبًا للسرقة والاعتداءات المحتملة، فلابد أن يعتنى بحزمها والتأكد من سلامتها. فقد يحدث بعد سفر يوم طويل أن يستسهل الحمالون، الذين نال منهم التعب أو الإهمال، أن يتركوا الأحمال تنزلق عن جوانب الجمال، بدلًا من أن ينزلوها برفق وعناية.

نلتقي العدد القادم .....

الواحات المفقودة (٣)



أحمد حسنين باشا